خواطر لاجئة

الريحُ ياخيمتي لن تطفئ الأملا
والليلُ لن يَطمِسَ الأحداقَ والمُقلا
لِتنشب الريحُ فيكِ الظُّفرقاسيةً
كالناس في عالمٍ كم عاث، كم قتلا
ليطفئ الليلُ مشكاتي بزفرته
ماعدتُ أفزع مهما ثار أو نزلا
أنا وأنتِ تحدَّينا ضراوته
فلم يَنَلْ مأربًا منا ولا أملا
في قلبيَ الحانقِ الموتورِ عاصفةٌ
بلون مأساتنا، إعصارها اشتعلا
يجتاح بالنار شريانى فماهدأت
أحقادُ شعبي الذي لم يلقَ من عَدَلا
من قلب "بلفور" مأساتي مُدَبَّرةٌ
من يوم "حطين" قلبُ الحاقد اعتملا..
منذ استدارت خيولُ الغزو مُدبرةً
تحكي بسالة أجدادي لمن جَهِلا..
في ظهرها من رماحي قصةٌ سَبَحَتْ
لها البطولة، قادت للعُلا بطلا
حروفُها ومضةُ الإيمان ما برحت
تضيء، أفقي، فيهفو للسنا جذلا

ضجّ الصليبُ الذي من تحته صرخت
أطماعُهم يومَها، أغضى هنا خجلا ..
ما أنصفوه ولعناتُ المسيح صدًى
يلاحقُ الركبَ أنّى حلّ أو رحلا...
دينُ المسيحِ بَرادٌ من مطامعكم
وروحُه السَّمْحُ من أوزارها اغتسلا
لستم نصارى، وما كنتم قساوسةً
حين اقتحمتم حِمًى من طُهرنا نَهَلا..
من يومِ "حطين" ما ساقى يدبرها
يا خيمةَ الحُزن حِقدٌ فاض ما اندملا
تُجرِي الصّليبيةُ النكراءُ ثورتَه
بين الدماء، وتسقى شرّه الثملا

●●●

فليمسكوا اليوم عن شعبي معونتهم
هل أبصروا لاجئًا من شعبنا سألا
هناك حقلي على حصبائه سطرت
أنامل الجدّ من أمجادنا مثلا..
هناك حنطتُنا المنهوبة احترقت
فيها الحياةُ وجفّت سوقُها وجَلا
هناك ليمونتي أزهارُها امتزجت
فيها دِمانا بدمعٍ ساخنٍ هطلا
واضيعةَ الحق، كيف استنزفوا بلدي
وغرّبوا شعبنا، كم ذاق واحتملا

وأخرسوا العدلَ فى أعماقِ كوكبِنا
هل جُنّ هذا الورَى يا أرضُ هل ذُهلا
أيطلقون جرادًا بين مزرعتى
مُدرّبَ الساق، كم أودَى وكم أكلا؟
ويوثقونكِ يا زندى فما انطلقت
إرادتى يومها تُودى بمَنْ قتلا..
يا منطقَ العالَمِ المُعوجّ ما سكنت
فى الأرض ريحى، ولم تعرف يدى كللا
"حطّينُ" لاحت على أفقى ببارقِها
مشبوبةَ النار، لن تخشى غدًا كُتَلا
أكادُ أُبصِرُ رغمَ الليلِ فارسَها
يستأصِلُ الشرَّ من أرضِ الهدى بطلا
أكادُ أُبصرُ فى ساقيه عودتَنا
تسابقُ الريحَ، تطوى السهلَ والجبلا
أكادُ ألمحُ بيتَ المقدسِ انحسرتْ
عنه المهانةُ يوم النصرِ واغتسلا

مجلة الرسالة · أكتوبر ١٩٦٣